مقدمة

تأثرت العربية بالعديد من اللغات ، وأثرت كذلك . ويرجع ذلك إلى التجاور الجغرافى ، والاتصال التجارى ، والنفوذ الدينى ، والتفوق العلمى والحضارى للغة المؤثرة . فالعرب كانوا يجاورون الفرس ، وكان ثمة اتصال تجارى معهم ، ومن ثم كان التأثير المتبادل . وكانت اليونانية لغة دولة الروم ، إحدى القوتين العظميين ، كما كانت لغة العلوم والفنون والفلسفة .

ويتضح النفوذ الدينى للغة المؤثرة فى اللغات الآرامية والسريانية والحبشية ؛ إذ كان النصارى واليهود - وهم كثر فى بلاد العرب - يستخدمون الآرامية التى كانت هى والسريانية - والأخيرة إحدى اللهجات الآرامية - منتشرتين بين المسيحيين واليهود ، حتى إنه يقال إن المسيح عليه السلام كان يستخدم اللهجة الآرامية الغربية فى مخاطبة تلاميذه ، كما أصبحت السريانية اللغة الأدبية والدينية للمسيحية بعد ظهورها ، كذلك كان كثير من النصارى يستخدم الحبشية .

ومن الأمور المسلَّم بها وجود علاقات تبادلية بين اللغات بحيث يكون من الصعب العثور على لغة نقية نقاء تاما من مظاهر التأثر بغيرها من اللغات ، إلا أن تكون لغة أو لهجة منعزلة عن سائر اللغات أو اللهجات . ومن هنا فالتبادل والتفاعل بين اللغات أمر بدهى ، بحيث تأخذ اللغة من غيرها ما تحتاج إليه ، ويتم ذلك اختياريا عن طريق التبادل التجارى والعلاقات الاقتصادية والبيع والشراء ، أو قسرا نتيجة قهر أو غزو أو احتلال ، انطلاقا من أن لغة الغازى أو المنتصر لها الغلبة والسيطرة على لغة المغزو أو المهزوم . وقد يكون هذا الأخذ مرده إلى الشعور بالتدنى والنقص من متكلمى لغات شعوب متخلفة تجاه لغات شعوب أرقى وأكثر تحضرا ، ولما كان الأدنى يميل إلى محاكاة الأرقى ،

فإن اللغة هى إحدى الوسائل التى تتم بها هذه المحاكاة . وهذا يؤدى إلى انتقال ألفاظ من لغات شعوب أكثر رقيا إلى لغات شعوب أقل تحضرا .

ووجود ألفاظ أجنبية فى لغة ما أمر لا يشين تلك اللغة ولا يقلل من قدرها وليس دليلا على عجزها عن إيجاد مقابل لهذا اللفظ الدخيل أو ذاك ، بل قد يعد ذلك دليلاً على حيويتها وعدم انغلاقها وتفاعلها مع غيرها من اللغات ، فالإنجليزية الحديثة مثلا اقتبست « ما بين ٥٥ و ٧٥ فى المائة من مجموع مفرداتها من اللغتين الفرنسية واللاتينية وغيرهما من اللغات الرومانية ، كما اقتبست الكورية ما يقرب من ٧٥ فى المائة من مفرداتها من اللغة الصينية »[١] ، كذلك فإن نصف اللغة « الفارسية من اللغة العربية و ٧٠ ٪ من اللغة التركية كلمات عربية »[٢] . واللغة الأسبانية بها المئات من الألفاظ العربية التى استوعبتها خلال القرون الثمانية التى كان للعرب والمسلمين طيلتها وجودهم الحضارى والفكرى والثقافى والسياسى فى بلاد الأندلس . ولم يقلل من شأن الإنجليزية وجود ألفاظ كثيرة وتعبيرات جمة تعود أصولها إلى حوالى عشرين لغة منها العربية والألمانية واللاتينية والفرنسية واليونانية ، ولم ينل هذا من كونها اللغة الحضارية الأولى فى العالم . وفى اللغة العربية كلمات عديدة ذات أصول فارسية أو تركية أو آرامية أو عبرانية أو حبشية أو يونانية ، فكان من الألفاظ التى دخلت العربية ما هو مولَّد وهو اللفظ الذى دخل العربية بعد عصر الرواية ، وكان منها المعرب الذى استوعبته العربية وغيرته بالزيادة أو النقص أو غير ذلك ، إضافة إلى الدخيل الذى انتقل إلى العربية دون تغيير .

وتعنينا التفرقة بين المعرب والدخيل ، فثمة تداخل فى المعنى بين المصطلحين . كان القدماء يعنون بالدخيل غير العربى ، فهو يقابل الأعجمى ،

(١) الأصوات والإشارات . ص ٩٢ .

(٢) لغويات . ص ٤٤ .

نجد ذلك عند الجواليقى (٤٦٥ - ٥٤٠ هـ) حيث يقول : « هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمى . . . وذكرته العرب فى أشعارها وأخبارها ، ليُعرف الدخيل من الصريح »[١] . ويترادف عنده مصطلحا الدخيل والمعرب ؛ إذ يقول : « لم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية ، فمتى جاءتا فى كلمة فاعلم أنها معربة . . . وليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، فإذا مر بك ذلك فاعلم أن ذلك الاسم معرب . . . وليس فى كلامهم زاى بعد دال إلا دخيل . . . ولم يحك أحد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء . فإذا جاء ذلك فى كلمة فهى دخيل »[٢] . ويعرِّف السيوطى (٨٤٩ - ٩١١ هـ) المعرَّب بأنه « ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها »[٣] . والتعريب عند شهاب الدين الخفاجى (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ) هو « نقل اللفظ من العجمية إلى العربية »[٤] .

ويلفت الانتباه تقابل العربى والأعجمى ، وترادف المعرب والدخيل ، إذ يقول السيوطى متحدثا عن قضية وجود ألفاظ أعجمية فى القرآن الكريم ، مبينا رأى الجواليقى : « وذكر الجواليقى فى المعرب مثله وقال : فهى أعجمية باعتبار الأصل ، عربية باعتبار الحال ، ويُطلَق على المعرب دخيل ، وكثيرًا ما يقع ذلك فى كتاب العين والجمهرة وغيرهما »[٥] . ونرى أن الدخيل من الألفاظ ما دخل العربية دون تغيير ، وأن المعرب هو ما دخل العربية مع تغيير طرأ عليه من زيادة أو نقص فى حروفه ، أو تغير فى بعض الأصوات أو الحركات حتى يتوافق مع البنية اللغوية للفظ العربى ، بحيث يجرى عليه ما

(١) المعرب من الكلام الأعجمى . ص ٥١ .
(٢) السابق . ص ٥٩ ، ٦٠ .
(٣) المزهر : ١/ ٢٦٨ .
(٤) شفاء الغليل . ص ٢٣ .
(٥) المزهر : ١/ ٢٦٩ . وانظر المعرب من الكلام الأعجمى . ص ٥٣ .

يجرى على الألفاظ العربية . ومن هنا نتفق مع ما ذهب إليه د. حسن ظاظا من أن « المعرب : هو لفظ استعاره العرب الخلص فى عصر الاحتجاج باللغة ، واستعملوه فى لسانهم ، مثل : السندس والزنجبيل . . . »[1] ، وأن « الدخيل هو لفظ أخذته اللغة من لغة أخرى فى مرحلة من حياتها متأخرًا عن عصور العرب الخلص الذين يحتج بلسانهم ، وتأتى الكلمة الدخيلة كما هى أو بتحريف طفيف فى النطق ، مثل : كوفية . . . واللمبة ، والموتور ، والتليفون ، والتليفزيون »[2] .

ونضيف إلى ذلك أن المعرب قد جرى على نسق الكلمات العربية وخضع لقواعد اللغة ونظمها ، وأن الدخيل يبقى - غالبًا - على صورته فى لغته الأصلية ، إلا أنه يتوافق - فى أغلب الأحيان - بشكل ما مع بنية اللفظ العربى ، فنقول مثلاً : لمبات ، وتليفونات ، وتليفزيونات ، فيجمع المفرد جمع مؤنث سالما ، إضافة إلى إمكانية دخول الألف واللام على الكلمة للتعريف .

أما المولد فهو عند د. حسن ظاظا « لفظ عربى البناء أعطى فى اللغة الحديثة معنى مختلفا عما كان العرب يعرفونه ، مثل : الجريدة ، والمجلة ، والسيارة ، والطيارة »[3] ، وهو ما يمكن أن يدخل فى إطار المشترك اللفظى الذى تتسع دائرته باكتساب ألفاظ قديمة معانى جديدة لم تكن موجودة من قبل، وهو أمر مرتبط بالتغيرات الاجتماعية والحضارية والثقافية التى تحدث فى المجتمع .

ويهدف هذا البحث إلى رصد الألفاظ الأعجمية فى الأمثال العربية القديمة

(١) كلام العرب من قضايا اللغة العربية . ص ٦٧ .

(٢) السابق . ص ٦٧ .

(٣) السابق . ص ٦٧ .

وبيان أصولها . وثمة نقص شديد فى المعاجم العربية على اختلافها فى بيان عجمة الكلمة ، بحيث لا يمكن فى كثير من الأحيان الاعتماد على المعجم العربى وحده فى تأصيل كلمة أعجمية ، فقد ترد الكلمة - وهى أعجمية - دون الإشارة إلى ذلك ، ومثال ذلك كلمة (التخت) ، وهى فارسية ، إذ يورد القاموس فى مادة (تخت) : « التخت : وعاء تصان فيه الثياب » . ويكتفى لسان العرب بالقول فى (بستان) ، وهو لفظ فارسى كذلك ، « البستان : الحديقة » ، وإذا أراد الباحث تأصيل كلمة (إصطبل) فى القاموس المحيط فلن يجد إلا مايلى : « الإصطبل : كجِرْدَحْل[1] : موقف الدواب ، شامية » . وقد يشير المعجم إلى عجمة الكلمة وأصلها ، دون تفسير أو توضيح لمعناها ، ففى مادة (فرسخ) فى الصحاح للجوهرى يجئ فيها ما نصه « الفرسخ : واحد الفراسخ ، فارسى معرب » .

ويعتمد هذا البحث فى مادته اللغوية على كتاب « مجمع الأمثال » للميدانى (ت ٥١٨ هـ)، ويعود اختيارنا له إلى أنه يعد أضخم كتب الأمثال العربية القديمة وأشملها ؛ إذ يحتوى على أكثر من ستة آلاف مثل ، موزعة بين أمثال تجئ فى الأبواب الثمانية والعشرين مرتبة على حروف المعجم ، ويعقب كل باب ما يأتى من الأمثال على (أفعل) ، ثم أمثال المولدين . وجعل الميدانى الباب التاسع والعشرين لأسماء أيام العرب ، وخصص آخر الأبواب - وهو الباب الثلاثون - لأقوال وحكم ومواعظ منسوبة للرسول وللخلفاء الراشدين . على أن هذا لم يمنعنا من الرجوع إلى بعض كتب الأمثال العربية القديمة حين يتطلب الأمر ، كالإشارة إلى رواية أخرى للمثل ، أو لبيان معناه أو غير ذلك ، ومن هذه الكتب : (الفاخر) لأبى طالب المفضل بن سلمة

(١) الجِرْدَحْل : « الوادى ، والضخم من الإبل ، للذكر والأنثى » .
القاموس المحيط : جِرْدَحْل . ص ١٢٦١ .

(ت ٢٩١ هـ) ، و (التمثيل والمحاضرة) للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ) ، و (فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال) لأبى عُبيد البكرى (ت ٤٨٧ هـ) .

وتعود بداية الأمثال العربية إلى العصر الجاهلى ، إلا أن تدوين تلك الأمثال لم يبدأ إلا فى العصر الأموى ، ثم دخلت الأمثال بعد ذلك مرحلة جديدة تم فيها تدوين أمثال المولدين . ويعد المفضل الضبى الكوفى (ت نحو ١٦٨ هـ) أقدم من ألف كتابا فى الأمثال . وألف فى الأمثال أيضًا أبو هلال العسكرى (ت بعد ٣٩٥ هـ ، وقيل بعد ٤٠٠ هـ) كتابه (جمهرة الأمثال) ، وكتب الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) : (المستقصى فى أمثال العرب) .

وتعتمد هذه الدراسة فى تأصيل الكلمات الأعجمية على العديد من المعاجم العربية ، نحو : الصحاح للجوهرى ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروز آبادى ، وتاج العروس للزبيدى ، ونظيرتها من المعاجم ثنائية اللغة ، نحو : الواعد ، وهو معجم فارسى عربى ، والمعجم الفارسى العربى الجامع ، والمعجم العملى : العربى - العبرى والعبرى العربى ، وبعض المعاجم المتخصصة ، نحو : معجم الأعشاب والنباتات الطبية .

كذلك اعتمدت تلك الدراسة على كثير من كتب المعربات ، نحو : المعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى ، وشفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجى ، ولف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط للقنوجى ، ومعجم عطية فى العامى والدخيل ، والدليل إلى معرفة العامى والدخيل ، وهما للشيخ رشيد عطية ، والألفاظ الفارسية المعربة لآدى شير ، وتفسير الألفاظ الدخيلة فى اللغة العربية لطوبيا العنيسى .

وكان من مراجع هذا البحث أيضًا ما هو دينى ، نحو : تفسير القرطبى ،

والإتقان فـى علوم القرآن ، وصـحيح البخـارى . وما هو تاريخـى ، نحو : تاريخ الأمم والملـوك للطبرى . . . إلى غيـر ذلك من المراجع اللغـوية والأدبية والموسوعية والدواوين الشعرية .

وتنقـسم هذه الدراسـة إلى مقدمـة وخمسة مـباحث وخاتمـة . وتجئ هذه المباحث الخمسة على النحو التالى :

المبحث الأول : الأعلام والألقاب .

المبحث الـثانى : الألفاظ الدالـة على البلاد والبـقاع والقبائل والجـماعات والدين والكتب السماوية ، وينقسم إلى ما يلى :

أ - الألفاظ الدالة على البلاد والبقاع .

ب - الألفاظ الدالة على القبائل والجماعات .

جـ - الألفاظ الدالة على الدين والكتب السماوية .

المبحث الثالث : الألـفاظ الدالة على الحيوانات والطيور والـنبات والطعام والشراب والثياب والملابس والحلى ، وينقسم إلى ما يلى :

أ - الألفاظ الدالة على الحيوانات والطيور .

ب - الألفاظ الدالة على النبات والطعام والشراب .

جـ - الألفاظ الدالة على الثياب والملابس والحلى .

المبحث الرابع : الألفاظ الدالة على العملات والآلات والأوانى والأدوات والمعادن والمواد والمقاييس والشهور والألعاب ، وينقسم إلى ما يلى :

أ - الألفـاظ الدالة علـى العمـلات والآلات والأوانى والأدوات والمعادن والمواد .

ب - الألفاظ الدالة على المقاييس والشهور والألعاب .

المبحث الخامس : الألفاظ الدالة على الحرف والصفات والمكان والحظ والاستحسان والدواء والطقس والكذب والرهبة والسراب ، وينقسم إلى ما يلى :

أ - الألفاظ الدالة على الحرف والصفات .

ب - الألفاظ الدالة على المكان .

جـ - الألفاظ الدالة على الحظ والاستحسان والدواء والطقس والكذب والرهبة والسراب .

وفى الخاتمة بيان لأبرز النتائج التى توصلت إليها . وقد ألحقت بهذه الدراسة فهرسا للقرآن الكريم ، وآخر للحديث الشريف ، وثالثًا للأبيات ، ورابعًا للألفاظ المبحوثة مرتبة على حروف المعجم ، بالإضافة إلى ثبت بالمصادر والمراجع .

وبعـــد :

فهذه الدراسة تحاول تأصيل الألفاظ الأعجمية فى الأمثال العربية القديمة من خلال ما ورد من أمثال فى كتاب هو أضخم مؤلَّف فى إطار هذا اللون من التأليف ، ولعل هذه المحاولة تكون نواة لوضع معجم عربى شامل للألفاظ الأعجمية والمعربة والمولدة فى العربية .

فتح الله سليمان